الكوفة مدينة العلم والعلماء

عندما جاءت وفود العراق إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رآهم وقد تغيرت ألوانهم، ورقت بطونهم، وجفت أعضائهم، سألهم عن ذلك فقالوا: وخومة البلاد، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص -بطل القادسية، وقائد جيش العراق- وأمره ببناء مدينة تكون أصح هواء، وأبعد عن الرطوبات من البصرة، فبعث سعد ﷺ سلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، يختاران موضعًا تتوفر فيه هذه الشروط، فوقع اختيارهما على مكان الكوفة فاختطوها سنة (١٧هـ / ٦٣٨م).

وسكن الكوفة عند إنشائها أكثر من أربعين ألفًا، وهو عدد جيش سعد بن أبي وقاص، وكان أغلب هؤلاء من العرب، وقد بنوا بيوتهم من القصب، ولكن سرعان ما أتت عليها النار فأكلتها، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن تبنى البيوت بالطوب اللبن، فقام أبو الهياج بن مالك الأسدي بتنظيم شوارعها وأزقتها، وأسس بها جامعًا[١].

وقد قسمت المدينة تقسيمًا قبليًا، فلكلِّ قبيلةٍ من قبائل العرب مكان خاص بها، ومسجد خاص وأيضًا مقبرة[٢]، وكان يقال لها سورستان وخد العذراء، وحينما مصرها العرب عرفت بالكوفة من التكوف (التجمع)، وسميت كوفاني (المواضع المستديرة من الرمل)، وكل أرض فيها الحصباء مع الطين والرمل تسمى (كوفة)، وسميت (كوفان) بمعنى (البلاء والشر)، أو (ما بين الدغل والقصب والخشب)، وسميت كوفة الجند لأنها أسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند، ومهما يكن فإنّ اسمها اسم عربي، وقيل: إن اسمها سرياني.

تقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الفرات الأوسط (شط الهندية القديم) شرق مدينة النجف بنحو ١٠ كم، وغرب العاصمة بغداد بنحو ١٥٦ كم، ويحدها من الشمال ناحية

(١) تاريخ الإسلام السياسي (١/ ٥٣٠).
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤/ ٤٥).

الكفل (محافظة بابل)، ومن الشرق ناحية السنية وناحية الصلاحية (محافظة الديوانية) ومن الغرب كرى سعد، ومن الجنوب قضاء أبي صخير، وناحية الحيرة[١].

وهذا ابن عباس الهمداني يصفها بقوله: الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء بعذوبة وبرودة، والبصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغيره وفساده[٢].

وزعموا أنّ من أصدق ما يقوله الناس في أهل كل بلدة قولهم: الكوفي لا يوفي! ومما نقم على أهل الكوفة أنهم طعنوا في الحسن بن علي ونهبوا عسكره وخذلوا الحسين بعد أن استدعوه، وشكوا من سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا: إنه ما يحسن الصلاة!، (الله أكبر سعد صاحب رسول الله وخاله وأحد العشرة المبشرين بالجنة وبطل القادسية مدمر عرش فارس لا يحسن الصلاة)، وضاق من كذبهم ودعا عليهم سعد ﷺ أن لا يرضيهم الله عن والي ولا يرضي واليًا عنهم، فهم في فتن ومحن إلى يومنا هذا، وادعى النبوة منهم كثيرون[٣].

وأي خير يرجى من قوم دعا عليهم سعد وعلي رضي الله عنهم، بل ودعا عليهم آل بيت النبي ﷺ.

لما قُتِلَ مصعبُ بن الزبير أرادت زوجته سكينة بنت الحسين الرجوع إلى المدينة فاجتمع عليها أهل الكوفة وقالوا: حسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله!

فقالت: لا جزاكم الله عني خيرًا ولا أحسن إليكم الخلافة! قتلتم أبي وجدي وعمي وأخي! ودعت عليهم[٤].

وقد نزل بها كثيرٌ من الصحابة، وترجم لهم ابن سعد في «الطبقات»، وهم أكثر من مائة وخمسين صحابي[٥].

---

(١) عجائب البلدان (ص٦٢-٦٣).
(٢) آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٣٤).
(٣) آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٣٥).
(٤) آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٣٤).
(٥) الطبقات الكبرى (٦/ ٩).

ونزل بها أيضًا أربعة آلاف مقاتل فارسي، وكانوا يسمون جند شاهنشاه قاتلوا تحت قيادة رستم في القادسية فأسلموا ونزلوا بها بعدما اشترطوا أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء [١].

فأصبحت الكوفة حاضرة المدن وخاصة عندما اتخذها علي بن أبي طالب ﷺ عاصمة الدولة الإسلامية أثناء خلافته، وكان التدين هو السمة الغالبة في أهلها فسكنها كثيرٌ من أصحاب النبي ﷺ.

فكانت مجالس العلم وحلقات الدروس في كلِّ مكانٍ ويحضرها كثيرٌ من الناس، وكان على رأس الصحابة الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود ﷺ المعلم الأول في علوم القرآن والحديث والفقه لأبناء الكوفة وأهلها، فتخرج على يديه العلماء والأئمة الكبار من أمثال: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني، والحارث بن قيس، وعمرو بن شرحبيل، وغيرهم الكثير.

ولقد كان عبد الله ابن مسعود من أحفظ الصحابة لكتاب الله عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ بِهِ- وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِى حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**»[٢].

وأيضًا ما قاله ابن مسعود ﷺ: «والله لقد أخذت من رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم».

واشتهرت الكوفة بعلم القراءات فخرج منها أئمة القراءات من أمثال يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، وصاحبنا الأعمش، وحمزة الزيات، والكسائي [٣].

ومن مشاهير التابعين في القرآن والتفسير: علقمة بن قيس، وهو أشهر من روى عن

(١) فتوح البلدان (٢/ ٣٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٨).
(٣) مناهل العرفان (١/ ٤١٥).

ابن مسعود وأعرفهم به وأعلمهم بعلمه، ومسروق، وعبيدة، والأسود، وعمرو بن شرحبيل، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وزر بن حبيش، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والشعبي، وغيرهم.

وكذلك كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل، وهو الذي قال: سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل نزلت أم في جبل[١].

كما اهتم أيضًا بالحديث وروايته في الكوفة، وكان معه سعد بن أبي وقاص والبراء بن عازب، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود، الذي رويت عنه الأحاديث الكثيرة، والتي أخرجها أصحاب الكتب الصحاح والسنن وغيرهم من أصحاب أمهات كتب الحديث.

وكان ﷺ يتحرى في الأداء، ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته من التهاون في ضبط الألفاظ[٢].

كما كانت تأخذه الرعدة، ويقشعر جلده، ويتغير لونه، خشية الخطأ والنسيان؛ وذلك إذا عرض له شكٌّ في حديثِ رسول الله ﷺ، وكان يوصي أصحابه بالتثبت مما يسمعون والتروي فيما يؤدون حيث قال: «ليس العلم عن كثرة الحديث إنما العلم خشية الله»[٣].

وشهدت الكوفة حركة علمية كبيرة أخذت بعد ذلك في التوسع والازدهار، وتوسعت الآراء العلمية وبدأ التدوين والتصنيف والجمع والكتابة، فظهرت الموسوعات الكبرى التي كانت خير ذخيرة تفخر بها الأمة على مدى العصور.

***

(١) الجامع لأحكام القرآن.
(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ١٣).
(٣) المعجم الكبير (١/ ١٠٥).

اسمه ونسبه وتاريخ ولادته :

في هذه الحياة العلمية ولد صاحبنا الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين:

أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي نسبة إلى كاهل من بني أسد، أصله من نواحي الرّي، وقيل: ولد بقرية أمة من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين[١].

وقيل: قدم أبوه الكوفة وأمه حامل به، فولد سنة ستين شهر المحرم.

قال وكيع: إنّ أباه شهد يوم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك يوم عاشوراء في المحرم سنة ستين[٢].

وقال أبو نعيم: كان مولده عام قتل الحسين بن علي سنة ستين[٣].

وقال ابن حبان: ومولده السنة التي قتل فيها الحسين بن علي سنة إحدى وستين[٤].

وكيفما كان مولده فقد كانت نشأة الأعمش في الكوفة.

قال الخطيب البغدادي: وسكن الكوفة[٥].

وهو من الموالي، فقد كان أبوه من سبي الديلم، اشتراه رجل من بني أسد فأعتقه[٦].

وكونه من الموالي ونشأ في الكوفة فالأمر الطبيعي أن تكون تربيته ونشأته في جو يسوده العلم والمعرفة؛ وذلك لحرص كثير من الموالي في ذلك الوقت على طلب العلم، وصار منهم فقهاء ومحدثون ومفسرون وعلماء في الأمة وفي العراق بوجه خاص.

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ٣٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٥)، ولسان الميزان (٧/ ٢٣٨)، والأنساب (١١/ ٣٢)، وجامع الرواة (ص ٣٨٣)، وتهذيب الكمال (١/ ٥٤٦)، ومعرفة الثقات (١/ ٤٣٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٥٤).

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٦)، ومعرفة الثقات (١/ ٤٣٤).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٥٤).

(٤) مشاهير علماء الأمصار (ص ١١١).

(٥) تاريخ بغداد (٩/ ٣).

(٦) معرفة الثقات (١/ ٤٣٢).

قال الوليد الموقري: قال الزهري: قال لي عبد الملك بن مروان من أين قدمت؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلفت يسودها؟ قلت: عطاء، قال: أمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبِم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا، فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس، قال: فمن العرب أو الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران وهو من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن من الموالي، قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب، قال: ويلك فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها، قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ومن ضيعه سقط[١].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ لأحد ولاته على مكة وقد ترك مكة ولقيه في الطريق: كيف تركت مكة وأتيتني؟! قال: وليت عليها فلانًا يا أمير المؤمنين! قال: ومن هو ذا؟ قال: مولى لنا، وعبد من عبيدنا، قال عمر: ثكلتك أمك تولي على مكة مولى! قال: يا أمير المؤمنين! إنه حافظ لكتاب الله، عالم بالفرائض، فدمعت عينا عمر وقال: صدق رسول الله: «**إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[٢].

يرفع الله به من اتبعه وتدبره، ويضع به من أعرض عنه فلم يقرءه ولم يتدبره ولم يعمل به، نعم هؤلاء العبيد والموالي هم سادة اليوم رفعتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد علموا أن من لم يرفعه الله لا يرتفع أبدًا، فهذا بلال بن رباح ﷺ كان عبدًا حبشيًا أسودًا

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٤٦): «القصة منكرة والوليد بن محمد الموقري واهٍ ، وفي الميزان (٢/ ٩٤): قال أبو حاتم: الوليد الموقري ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: لم يزل حديثة مقاربًا، وقال النسائي: متروك الحديث، وكذبه يحيى بن معين.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

عند عدو الله أمية بن خلف، فصار المؤذن الأول في الإسلام.

قال عنه عمر بن الخطاب ﷺ: سيدنا أعتق سيدنا، يأتي يوم القيامة وجهه أبيض من اللبن، ويأتي أبو لهب بن عبد المطلب الحسيب النسيب وجهه أسود من الصخرة السوداء في الليلة الظلماء.

وسالم مولى أبي حذيفة كان مولى فقيرًا ليس له ذكر ولا قيمة، فلما آمن بالله عز وجل واتبع النبي ﷺ ارتفع شأنه وبقي ذكره، ثم آخَى النبي ﷺ بينه وبين أبي حذيفة ابن ربيعة، قال عنه عمر ﷺ: لو كان سالم حيًّا لجعلته خليفة للمسلمين، لا لشيء إلا لعلمه وقربه وحبه لله وموت النبي ﷺ وهو راضٍ عنه.

الله أكبر! خليفة للمسلمين، نعم هذا هو الإسلام الذي نادى مناديه: أيها الناس، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:١٣].

وعن أبي ذر ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال له: «**انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلاّ أن تفضله بتقوى الله**»(١).

وهذا عطاء بن أبي رباح إمام الأمة ومفتيها كان مولى عبدًا أسودًا، مهلهل الشعر أفطس، ليس عنده من الدنيا درهمًا ولا دينارًا، وقد جاءه أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك الذي كان يملك الدنيا يريد أن يستفتيه في الحرم فقال عطاء لسليمان: لا أفتيك خذ، دورك مع الناس، فقال سليمان لأبنائه وهم أمراء أبناء ملوك: يا أبنائي! عليكم بطلب العلم، والله ما ذللت في الحياة إلا لهذا العبد، بسبب العلم.

وهذا سليمان بن مهران الأعمش مولى فقيرًا لا يملك درهمًا ولا دينارًا، لو رأيت -كما يقول هو عن نفسه- عموشة عينيه، ولا خموشة ساقيه!! لقلت: إنه من بقالي الكوفة وما اشتريت منه شيئًا فصار بعلمه وتقواه وقربه من الله إمام الدنيا ومحدثها، يقف الملوك

(١) أخرجه الإمام أحمد وقد تفرد به.

والأمراء على باب بيته إلى أن يأذن لهم[١].

لقبه:

أُطلِقَ عليه لقب الأعمش لعموشة عينيه، واشتهر بين الناس حتى غلب هذا اللقب على اسمه بحيث لا يعرف إلا به[٢].

وأما الألقاب فقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١١].

سماه الله تعالى فسوقًا، واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف إلا بذلك، كالأعمش، والأعمى، والأعرج، والأحول، والأفطس، والأقرع ونحو ذلك، وقلّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب[٣].

كنيته:

اتفق كل أصحاب السير والتراجم على أنه تكنى بأبي محمد، ولكني لم أجد ذكر لولد له اسمه محمد فيما وصلت إليه يدي من التراجم والسير، ولم أجد غير ذكر ولده هود وزوجته عميرة كما سيأتي ذكره لاحقًا عند ذكر زواجه وأولاده، وذكر أنه له بنتًا كما سيأتي في نوادره.

أهم ملامح شخصيته :

الأعمش وما أدراك ما الأعمش؟! رجلٌ لا كالرجال وسيرةٌ لا كالسير، وعذرًا لن نستطيع أن نَفِيَه حقه في هذه العجالة، لكن حسبكم وحسبي أن نقف عند بعض مواقفه، لنتذكر، وننظر، ونعتبر، والتاريخ نقرأ.

اقرؤوا التاريخ إذ به العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

---

(١) ومن أراد الاستزادة فعليه بكتابنا: عبيد صاروا سادة بالإسلام.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٥).

(٣) المستطرف من كل فن مستظرف (٢٧٤).

وعند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة بإذن رب العالمين فمن أين أبدأ، وعن أي جانب من جوانب هذا الإمام أكتب، أأكتب عن صفاته وأخلاقه وتعامله مع الناس، أم أكتب عن علمه وفضله، أم أكتب عن زهده وورعه، أم أكتب عن دوره في خدمة كتاب الله وسنة النبي ﷺ، أم أكتب عن تلك المدرسة العلمية التي أسسها وأرسى قواعدها ووضع أصولها ومناهجها.

وإني لأعلم أنّ الكثير منكم يعرف بعض أخباره ونتفًا من نسبه وأعماله، أما روح تلك الأخبار فلا يدركها إلا من تأملها من الأخيار، وإني لأرجو الله أن نكون وإياكم من أولئك الأبرار فتعالوا لنعيش معه في دروب الكوفة لحظات من حياته لنرى رجلًا من عظماء هذه الأمة، لقد كان رأسًا في العلم، ورأسًا في الزهد والورع وإنكار المنكر والجهر بالحق والعبادة والحفظ،وكان له فضل عظيم وهيبة في قلوب العلماء، فتبوأ منزله رفيعة عندهم واعتبروه قدوة لهم، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه.

زهده:

إنّ كل مسلم حين يتصفح كتاب الله تعالى يجد كثيرًا من الآيات الكريمة تصغِّر من شأن الدنيا وتبين حقارتها وسرعة زوالها، وانقضاء نعيمها، وأنها دار الغرور، وفتنة الغافلين؛ ومقصود الحق من ذلك أن يُزَهّد الناس فيها بإخراج حبها من قلوبهم حتى لا تشغلهم عما خلقوا له من معرفة الله تعالى وإقامة دينه، قال الله تعالى: ﴿**يا أيُّها الناسُ إنَّ وَعْدَ الله حقٌّ فلا تغُرَّنَّكُم الحياةُ الدنيا ولا يَغُرَّنَّكُم بالله الغَرورُ**﴾ [الروم: ٦٠].

وقال أيضًا: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤].

وقال تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [الكهف:٤٦].

وهكذا سائر الآيات الكريمة التي تضرب على هذا الوَتَر وترمي إلى هذا الهدف العظيم.

وإذا استعرضنا سيرة رسول الله ﷺ نجده كثيرًا ما يوجه أصحابه إلى العزوف عن الدنيا والزهد في زخارفها، وذلك بتصغير شأنها وتحقير مفاتنها، كل ذلك كي لا تشغلهم عن المهمة العظمى التي خُلقوا من أجلها، ولا تقطعهم عن الرسالة المقدسة التي يحملونها.

وهكذا كان الإمام الأعمش من الذين ساروا على هذا الضرب فعزفتْ نفوسهم عن الدنيا، وزهدت قلوبهم فيها، فكانت الدنيا في يده وليست في قلبه لم يحس بالفشل والانكسار عند فقد متاعها، ولم ينبهر بها ولم يقع في أسرها، وقد انفتحت أمامه كنوزها فلم يرَ يوما واقفًا عند باب صاحب سلطان مع فقره وحاجاته وقد علا بنفسه عن سفاسف الحياة الدنيا، وعلا بالعلم الذي بين جنبيه عن سوق التسول والاتجار.

قال عيسى بن يونس: «ما رأينا الأغنياء عند أحد أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته وهو محتاج إلى درهم»[(١)].

وعن سفيان قال: «لو رأيت الأعمش لقلت مسكين»[(٢)].

وقال الحافظ الذهبي: «كان عزيز النفس قنوعًا، وله رزق على بيت المال في الشهر خمسة دنانير قررت له في أواخر عمره»[(٣)].

وقال نعيم بن حماد: حدثنا سفيان بن عيينه قال: «لو رأيت الأعمش وعليه فرو غليظ وخفان -أظنه قال غليظان- كأنه إنسان سائل،فقال يومًا: لولا القرآن وهذا العلم عندي لكنت من بقالي الكوفة»[(٤)].

وعن أبي عوانة قال: «كنت إذا رأيت الأعمش رحمته»[(٥)].

ولقد روى رحمه الله أحاديث كثيرة في فضل الزهد، فكان زاهدًا في الدنيا راغبًا في

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٨).
(٢) صفة الصفوة (١١٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٩).
(٥) العلل ومعرفة الرجال (٢/ ١٢).

الآخرة، أدان نفسه وعمل لما بعد الموت، لم يغتر بزينة الحياة الدنيا ومتاعها فعاش زاهدًا عالما.

ورعـــــــه:

كان الأعمش يقصد بعلمه وجه الله تعالى ولا يقصد به توصلًا إلى غرض دنيوي، كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الأقران ونحو ذلك، فكان رحمه الله بعيدًا كل البعد عن غرور الدنيا وزخرفها، عزوفا عن ملذاتها.

وهذا أبو بكر بن عياش يقول: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه فقلت: أدعو لك الطبيب؟

قال: ما أصنع به، فوالله لو كانت نفسي بيدي لطرحتها في الحُشِّ، إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحدًا، واذهب بي واطرحني في لحدي[١].

وعن أبي نمير قال: سمعت الأعمش يقول: كان أصحابي أشرافًا لا يكذبون، فصرنا مع قوم إن كان أحدهم ليحلف عشرين يمينًا على قطعة سمك أنها سمينة وهي مهزولة[٢].

هؤلاء هم الصالحون مع صلاحهم يخشون الله، قلوب وجلة، قلوب خاشعة خاضعة لا تغتر بعلم، ولا تغتر بعمل، ولا تغتر بتعبد، ولا تغتر بمكان أو بمكانة أو بجاه.

عبادته:

لم يكن له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أينما كان فمدار تعبده عليه فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره فإن رأيت العلماء رأيته معهم وإن رأيت العباد رأيته معهم وإن رأيت الزهاد رأيته معهم وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم كان يدور مع الأمر حيث دار يدين بدين الله أنى توجهت

(١) حلية الأولياء (٥/ ٥١).
(٢) مقدمة الكامل في الضعفاء (ص١٠٩).

ركائبه ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق ويستوحش منه كل مبطل كالغيث حيث وقع نفع وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب إذا انتهكت محارم الله فهو لله وبالله ومع الله كانت حياته كلها لله

قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى[١].

وقال الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه[٢].

وعن أبي خالد أن الأعمش ذكر حديث عَبْدِ الله قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ**»[٣].

فقال الأعمش: ما أرى عيني عمشت إلا من كثرة ما يبول الشيطان في أذني وما أظنه فعل هذا قط، ويعقب على هذا الإمام الذهبي بقوله: «يريد أن الأعمش كان صاحب ليل وتعبد»[٤].

لله دره أي عبد كان لله!!.

وعن إبراهيم بن عرعرة قال: «سمعت يحيى القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النساك وكان محافظًا على الصلاة في الجماعة وعلى الصف الأول»[٥].

تواضعه:

الأعمش ممن رفعه الله بتواضعه كان محدث الدنيا يأتيه الناس من كل صوب وحدب.

ومن تلاميذة الإمام أبوحنيفة وأمير المومنين في الحديث سفيان الثوري ومحدث

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٤٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٨).
(٣) أخرجه أحمد (٤١٤٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٢)
(٥) طبقات الحفاظ ص ٦٧ تاريخ بغداد (٩/ ٨).

العراق سفيان بن عيينة وشيخ الإسلام وكيع بن الجراح والإمام شعبة بن الحجاج، ومع ذلك كان يضرب به المثل في التواضع قال عنه بعض العلماء وكان تواضعه عجيبا..

وكان رحمه الله رغم غزارة علمه متواضعًا، شديد التواضع، وكان يسمى المصحف لدقتة وكثرة حفظه، ولقد جاءه رجل يسأله عن مسألة في العلم وعنده الإمام أبو حنيفة وهو من تلاميذه فقال لأبي حنيفة أجبه فأجابه فقال له: ومن أين لك هذا؟ قال: من حديث حدثتنيه هو كذا وكذا فقال الأعمش: حسبك ما حدثتك به في سنة تحدث به في ساعة أنتم الأطباء ونحن الصيادلة [١].

قال حفص بن غياث: رأيت الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنب قد سدل رجليه من جانب [٢].

وقال الأعمش: مر الربيع بن خثيم في الحدادين فنظر إلى كير فصعق؛ قال الأعمش: فمررت بالحدادين لأتشبه به فلم يكن عندي خير [٣].

وهذا من ورعه وتواضعه رحمه الله.

جرأته في الحق:

كان الأعمش جريئًا في الحق لا يخشى في الله لومة لائم، وإن عرضه ذلك للتلف والهلاك.

بعث إليه الخليفة هشام بن عبد الملك قائلًا له: أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ علي؟ فأخذ الأعمش رحمه الله القرطاس وأدخله في فم شاة فلاكته.

وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك.

فقال له الرسول: أنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٣٠).

(٢) عيون الأخبار (١١٣).

(٣) المورد العذب المعين من أثار التابعين ١/ ٤٧).

وتحمل إليه بإخوانه فقالوا له يا أبا محمد: نجه من القتل فلما ألحوا عليه كتب له بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعك شيء ولو كانت لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرك شيء فعليك بخويصة نفسك [١].

ورغم فقره وما كان يعانيه في حياته إلا أنه كان لديه عزة نفس فلم يأكل بدينه أو بعلمه ولم يجعل علمه قصصًا يرويها عن طلب منه. بل كان ينظر إلى ما عنده من علم على أنه شيء ثمين لا يؤخذ إلا بحقه ولما دخل على الوزير ابن هبيرة[٢] طلب منه أن يحدثه فقال له: لست بقاص. فلم يكن علمه ليحدث به عند الأمراء بل الأولى أن يأتوا إليه ليحدثهم ويتعلموا منه، ولم يرَ يومًا واقفًا بباب ذي سلطان.

قال الذهبي كان عزيز النفس قنوعًا [٣].

عبّاد ليل إذا جن الظلام بهم ... كم عابد دمعه في الخد أجراه

وأسد غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا ... يشيدون لنا مجدًا أضعناه

سرعة بديهته :

كان الأعمش صاحب عقل وحكمة وصفه بذلك زهير بن معاوية قال: ما أدركت أحدًا أعقل من الأعمش والمغيرة وكان ذا بديهة سريعة.

أراد إبراهيم النخعي ذات مرة أن يماشيه وكان أعور فقال له الأعمش إن رآنا الناس معًا قالوا: أعور وأعمش فقال إبراهيم وما عليك أن يأثموا ونؤجر؟؟ فقال له الأعمش وما عليك أن يسلموا ونسلم [٤].

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٥١).

(٢) ابن هبيره: أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين نائب مروان الحمار كان بطلا شجاعا جوادا فصيحا خطيبا قتل سنة (مائه واثنين وثلاثون هجريه) وهو ساجد (سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٣٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٩).

فضله:

نَقَل الْحَاكِم:عن يحيى بن مَعِين، أَنَّه قال: أَجْوَد الأَسَانِيد الأَعْمَش عن إِبْرَاهِيم عن عَلْقَمَة عن عبد الله فَقَال لَه رَجَل الأَعْمَش مَثَّل الزَّهْرِيّ فَقَال: بَرِئَت من الأَعْمَش أَن يَكُون مَثَّل الزَّهْرِيّ. الزَّهْرِيّ يرى الْعَرَض والإجازة وَيَعْمَل لِبَنِي أُمَيَّة. وَالأَعْمَش فَقِير صَبُور مُجَانِب لِلسُّلْطَان وَرَع عَالِم بِالْقُرْآن[١].

وَعَن ابن نمير عن الْأَعْمَش قال كَنَت آتِي مُجَاهِد فَيَقُول لَو كَنَت أُطِيق الْمَشْي لجئتك[٢].

ومما يَبِين فَضله أيضًا ما قَالَه الأَعْمَش عن نَفَسه أَنا مِمَّن رَفَعَه اللهّ بِالْقُرْآن وَلَوْلا ذَاك كَان على رَقَبَتِي دن[٣] من صحناء أبيعه[٤].

وقال أيضًا ما كان إبراهيم يسند لأحد الحديث إلا لي لأنه كان يعجب بي[٥].

قال شريك ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشراف الملوك فقال له رجل من جلسائه: وأي نبل كان للأعمش؟

قال شريك: أما لو رأيت الأعمش ومعه اللحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه وشريك عن يساره وكلاهما ينازعه حمل اللحم لعلمت أن ثم نبلا كثيرًا[٦].

زواجه وأولاده:

معظم الكتب والمصادر لا تذكر عن زواجه شيئًا ولكن هناك ما يدل على أن له ابنًا اسمه هود، وأن اسم زوجته عميرة، وكانت من أجمل نساء الكوفة فجرى بينهما يومًا كلامٌ وجاءه رجل كفيف البصر يطلب الحديث منه فقال له أن امرأتي نشزَت علي فادخل عليها

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٥).
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٩).
(٣) دن سمك صغير يعرفه أهل الخليج.
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٤٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٧).
(٦) حلية الأولياء (٢/ ٤٨).